كما أن د. طه بدر ظَلَّ يستفيد من بعض المؤلفات التي تتبنى منهجاً تاريخياً مثل كتاب أرنولد كيتل. «مدخل إلى الرواية الأنجليزية»[39] وهو كتاب استفاد منه كثيراً في مؤلفه الذي درسناه في الفصل السابق.

وتعدُّدُ المصادر هذا هو الذي حال ـ في نظرنا ـ دون بناء فكرة واضحة عن مفهوم الرؤية، هل هي ذات طبيعية ذاتية أم موضوعية، وإذا كانت ذات طبيعة مزدوجة ما هي العلاقة الواضحة التي تقوم بين الذات والموضوع عندما يتصل الأمر بالإبداع الأدبي؟.

إن أغلب القائلين بمفهوم الرؤية يتخلصون من تبني موقف إديولوجي، أو سياسي مباشر ـ مثلهم في ذلك مثل أصحاب النمط النقدي السوسيولوجي الثاني ـ إذ أنهم يستبدلون ذلك بالدعوة الإنسانية العامة، فالمبدع لا يكون صاحب فنٍّ رفيع، ولا تقوم رواياته بدور إيجابي، إلا إذا كانت ذات نزعة إنسانية عامة. وهم لذلك يلحون أولاً على تحديد وظيفة الإبداع الروائي، ولا يحصرون هذه الوظيفة في الجانب الذاتي وحده، وهكذا يرى د. طه بدر في كتابه «الروائي والأرض» أن وظيفة الإبداع هي استمالة الآخرين، ودعوتهم إلى المشاركة، وإلى تبني موقف الفنان، وهو يقول بهذا الصدد:

«تتحدد وظيفة الفن حسب تصورنا السابق لطبيعة عملية الإبداع في الكشف بأفضل الوسائل الممكنة، وباستخدام أقصى طاقات أدوات التعبير وتطويرها عن «رؤية» الفنان لواقعه، ويمثل هذا الكشف في الوقت نفسه **دعوة ملحة للآخرين إلى المشاركة فيه، بل إلى تبني موقف الفنان ونظرته إلى الواقع**». (ص: 33).

ويعبر الناقد بشكل صريح عن الوظيفة الاجتماعية للفن عموماً، عندما ينفي في موضع آخر أن يكون الفن: «مجرد إرضاء لذات الفنان وحدها» (ص: 34).

وبعد أن يثبت الناقدُ الدور الاجتماعي للفن نراه يميِّز الفنان المخلص بأنه ذلك الذي يلتزم إنسانياً (ص: 36) وطبيعي أن يعيد د. طه بدر ـ على الخصوص ـ النظر في الغايات التي حددها للفن الروائي في كتابه عن المنهج التاريخي(*)، وخاصة حصره لوظيفة بعض الروايات في الترفيه، والتعليم أو الدعاية، فالمبدع في نظره يتجاوز ذلك كله إلى المساهمة في تغيير واقعه. ولا يشترط الناقد في هذا التغيير أن يكون ضمن إطار إديولوجي أو سياسي محدد بل يكفي أن يرى المبدع عميق الإحساس مُدْرِكاً لأسرار فنه، لا غير. (ص: 36) لذلك نرى الناقد يقدم لنا شبه وصفة تحدد الشروط الضرورية لقيام الرؤية الفنية الجيدة في الرواية منها:

□ الوضوح (ص: 37 - 38).

---

(39) انظر إثبات هذا المرجع في الهامش، ص 31 من كتاب الروائي والأرض. .

(*) نشير هنا إلى كتابه: تطور الرواية العربية الحديثة في مصر. دار المعارف. القاهرة 1963.